

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدسة كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث بمناسبة عيد بشارة سيدتنا والدة الإله الدائمة البتولية مريم في مدينة الناصرة.

اليوم انكشف السر الذي قبل الدهور وابن الله يصير ابن البشر لكي
ما يأخذ الأذى ويَهْدِنَا الأفضل. آدم اشتهى التآله قديماً فخاب
قصده و لم يصر. فصار الإله إنساناً لكي ما يصير آدم
إلهاً. فلتبتهج إذن البرية و ترتكض الطبيعة. لأنّ رئيس الملائكة
انتصب لدى العذراء بوقار واحتشام و قدّم لها الفرح مقابل
الحزن. فيا إلها الذي بتحنن مراحمك تأنست المجد لك. هذا ما يرئم
به مرئم الكنيسة.

اخوتنا المحبوبين بالرب يسوع المسيح،

أيّها المسيحيون الأتقياء والزوار الكرام،

تُعِيدُ اليوم كنيسة المسيح بابتهاج وحبور لسر التدبير العظيم
الذي لا يُسبر غوره أي المشيئة الإلهية التي قبل الدهور، الذي
أعلنها رئيس الملائكة جبرائيل للعذراء مريم في مدينة الناصرة
الشهيرة، قائلاً لها: افرحي يا ممتلئة نعمة الرب معك مباركة أنتِ
في النساء ...، ها إنتِ تحبلين وتلدن ابناً وتسمّينه يسوع. (لوقا
1: 28-30).

ولا شك إن أقوال الملاك هذه أخافت العذراء مريم من جهةٍ وذلك بحسب
شهادة الانجيلي لوقا الصادقة (1: 29)، ولكن من جهةٍ أخرى قد شكلت
"علامة مقاومة" (لوقا 2: 34) لأنها "أي أقوال الملاك" نتج عنها
الشك والانقسام بين المؤمنين وغير المؤمنين، بين المدافعين عنها
بحماسةٍ حتى الدم، وبين محاربيها بالرفض كما يقول مرئم الكنيسة عن
العذراء مريم: "إفرحي يا سماءاً، عند الكُفَّارِ، مُلتبساً
إفرحي يا فخرًا للمؤمنين لا يخامُره التّباس".

إن الشك يا أحبتي هو الذي يُعذب عقول البشر المنكرين وجود الله
والذين يرفضون الله كخالق للكونويُرهبهم. فالذي يؤمن ببشارة

العذراء والدة الإله الدائمة البتولية مريم، وأنه من دمائها الطاهرة قد صار ابن الله، ابن الإنسان، قادرٌ أن يُقر ويعترف بأزبه: فِي الْبِدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلامَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهُ. هَذَا كَانَ فِي الْبِدْءِ عِنْدَ اللَّهِ. كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ. فِيهِ كَانَتْ الْحَيَاةُ، وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ" (يو 1: 1-5).

إنَّ نور الحياة، أي المسيح، هو بالحقيقة ما وهبته ومدَّحته لنا العذراء مريم والدة الإله عندما أصبحت أماً لله ربنا ومخلصنا يسوع المسيح بحسب طبيعته البشرية: "ثُمَّ كَلَّمَهُمْ يَسُوعُ أَيُّضًا قَائِلًا: أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتَّيْعُنِي فَلَا يَمَسُّهُ فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ" (يو 8: 12).

وهنا أريد أن أنوه إلى نقطةٍ ذكرها المرنم قائلًا: لقد انتهى آدم قديمًا أن يصير إليها ففشل، وربما يتساءل المرء لماذا فشل آدم أن يصير إليها؟؟ الحقيقة إنَّ الإنسان الذي يسير في الظلمة أي في الكذب والغش والخداع، يفشل أن يحقق ما يصبو إليه، وللأسف إنَّ هذه الرغبات والشهوات تظهر في إنساننا المعاصر، أعني به ذلك الإنسان الذي يركع ويسجد للخليقة دون الله الخالق .

وربما يتساءل المرء لماذا نُكرِّم بشارة سيدتنا والدة الإله بشكل خاص؟ إننا نُكرِّم هذه البشارة لأنَّ إلهنا يسوع المسيح الذي تجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء تأنس "أراد أن يؤله آدم، وأن يحقق لآدم ما فشل آدمُ نفسه في الوصول إليه وتحقيقه، لذلك يقول ناظم التسابيح أن الإله صار إنسانًا لكي ما يصير الإنسان إليها". فهذا هو السبب الذي لأجله نُكرِّم عيد بشارة سيدتنا والدة الإله ونهتف مع المرتل قائلين "اليوم رأس خلاصنا. وإعلان السر الذي منذ الدهور فإنَّ ابن الله يصير ابن العذراء. وجبرائيل يبشِّر بالنعمة. فلنهتفن" نحن أيضًا معه نحو والدة الإله قائلين: افرحي يا ممتلئة نعمة الرب معك".

وربما يظنُّ أحدٌ ما إنَّ مسيحي الكنيسة فقط هم الذين يشاركون نعمة عيد بشارة سيدتنا والدة الإله وفرحه! ولكن نقول لهم لا، بل جميع البشر قاطبة يشاركون نعمة عيد بشارة سيدتنا والدة الإله وفرحه، ولكن لماذا نقول هذا؟

وذلك لأنَّ آباء كنيستنا الملهمين من الله يعلموننا قائلين: "إنَّ الله قال لحواء قديمًا إنَّك بالأحزان تحلين وتلدين، فها حزن حواء يَنحَلُّ من خلال هذا الفرح أي فرح البشارة"، وهذا الفرح لجميع الجنس البشري، وذلك لأنَّ الإله الكلمة، الأقنوم، عند تجسده أخذ كل ما

لطبيعتنا البشرية من خواص ما عدا الخطيئة .
وعلينا ألا ننسى في فرحة هذا اليوم أيضاً أيها الأخوة المحبوبون
أننا مدعوون لنلتقي لتنازل ربنا يسوع المسيح الطوعي لأجلنا
وموته على الصليب.

إن ذكرى توافق هذين العيدين يرمزان إلى الحزن المبهج، أي عيد
بشارة الفرح من جهة وإعلان آلام ابن الإنسان من جهةٍ أخرى، وهذان
العيذان يوضحان بالأحرى الطريقة التي لا تدرك، طريقة علاقة الله
بالإنسان، وعلاقة الطبيعي مع الذي يسمو على الطبيعة، وخصوصاً علاقة
الحياة والموت موت الفساد أي الخطيئة وموت عدم الفساد أي الخلاص
بالمسيح.

ان هذا السر العظيم غير المدرك يصبح مفهوماً ومدركاً عندما يوضع
داخل إطار ما أُعلن للعالم من التاريخ المقدس، أي الكتاب المقدس
بعهديه القديم والجديد حيث يظهر الله الخير المطلق والمحِب البشر،
كديّان لهذا العالم وذلك بحسب قول ربنا يسوع المسيح: لَكِنَّ
أَقْوَلُ لَكُمُ الْحَقَّ: إِنْ زَبَّحْتُمْ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ
أَنْطَلِقَ، لِأَنَّ زَبَّحَهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لَا يَأْتِيكُمْ
الرُّوحُ الْقُدُّوسُ (أي الروح القدس)، وَلَكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أَرْسِلُهُ
إِلَيْكُمْ. وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَدِّتُ الْعَالَمَ عَلَيَّ
خَطِيئَةً وَعَلَيَّ بَرٌّ وَعَلَيَّ دَيْنُونَةٌ. (يو 16: 7-8).

ختاماً يا أحبتي أشكر الله الآب وأتضرع إلى ابنه الوحيد، كلمته، ابن
العذراء مريم أن يشرق علينا، وعلى حكام هذا العالم بنوره الإلهي
الذي لا يدرك، نور القيامة قائلين مع رئيس الملائكة جبرائيل: افرحي
يا والدة الإله العذراء مريم يا ممتلئة نعمة، الرب معك، مباركة
أنت في النساء ومبارك ثمر بطنك، لأنك ولدت مخلص نفوسنا. فصح
مجيد للجميع. آمين

مكتب السكرتارية العام - بطريركية الروم الأرثوذكسية